الصبر علي المقدور

إن حياة الناس مملوءة بالأزمات والويلات والفتن والبلاء علي اختلاف الأجناس والألوان وهؤلاء جميعهم في حاجة ماسة إلى الصبر وأن هذا نوع من البلاء أو الابتلاء، والصبر على المقدور أي علي ما قدره الله وقاه عليك من المحن والمصايب والبلايا وهذا صبر الصديقين قال الله تعالى:{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾} [القمر: ٤٩]، وهو من تمام الإيمان كما جاء في حديث جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم حينما سأله عن الإيمان.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :**"ما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي علي الأرض وما عليه من خطيئة-** والصبر من أحب الأمور إلى الله تعالى فيقول الله تعالى:{وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٦]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :**"عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خير له وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له ولا يكون ذلك إلا للمؤمن-**

والابتلاء بالشر هو مناط الصبر، والابتلاء بالخير هو مناط الشكر قال تعالى:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾} [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :**"ما من عبد مؤمن تصيبه مصيبة فقال كما أمر الله تعالى إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اؤجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها إلا فعل الله به ذلك-**

هل الشكوى تنافي الصبر!!؟؟

الشكوى نوعان: الشكوى من الله تنافي الصبر فكأنما تشكو الرحيم الذي لا يرحم.. يقول صلى الله عليه وسلم :"**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه-**.

الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر:

- كما حدث من يعقوب وأيوب عليهما السلام.

قال تعالى:{قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦} [يوسف: ٨٦]، وقال تعالى:{وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣} [الأنبياء: ٨٣].

أيوب جبل الصبر:

ابتلي في أولاده وماله وبدنه فأقعده المرض في الفراش.

روي ابن حبان والحاكم في المستدرك من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم : "**إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه جميع الناس إلا رجلين كانا من خواص رجاله حتى قال أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما ذاك فقال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله-** فنادي ربه بأدب جم كما حكي القرآن:{وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣} [الأنبياء: ٨٣]، لم يقل هدني أو أهلكني أو ذبحني أو قتلني ولكن قلبه امتلأ بالحب ولم يفتر لحظه من هذه السنوات عن ذكر الله.

وكما في الصحيحين من حديث أبي هريرة، رد الله عليه أولاده

بعدد مضاعف، أمطر الله عليه جراد من ذهب، وجعل نبي الله يأخذ من الجراد ويضع في حجره وكرره مرارا فناداه ربه وقال:"**يا أيوب أما تشبع؟ فقال أيوب: يا رب ومن يشبع من رحمتك!!-.**

من أنواع الابتلاء والصبر عليه:

- الصبر علي المرض وعند اشتداد الحمى وسكرات الموت.

- الصبر علي فقدان الحبيب، كموت ولد كما مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم .

- الصبر عند فقد العزيز كقتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم وأراد النبي أن يمثل بسبعين من المشركين فقال تعالى:{وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧} [النحل: ١٢٦ - ١٢٧].

- الصبر علي الفقر والجوع.. كان يمر الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار حتى إن السيدة عائشة كانت تخبر وتقول: إن طعامهما الأسودان (التمر والماء) حينما سألها عبد الله بن الزبير وقد جاء ملك الجبال إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له:"**إن شئت لأجعل لك الجبل ذهبا؟ فقال:.. لا.. أجوع يوما وأشبع يوما-.**

- الصبر علي فقدان البصر.. قال تعالى في حديثه القدسي:"**إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه أي (عينيه) عوضته منهما الجنة-.**

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي جماعة من صحابته

فقال:"**أمؤمنون أنتم؟**ـ فسكتوا، فقال عمر: نعم يا رسول الله، قال:"**وما علامة إيمانكم؟**ـ قالوا: نشكر علي الرخاء، ونصبر علي البلاء، ونرضي بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم :"**مؤمنون ورب الكعبة**ـ.

ويتجلي الصبر في أروع أمثلته حينما مات ابن لأبي طلحة من أم سليم فصبرت وأعدت الطعام لزوجها وعاشرها معاشرة الأزواج وأخبرت زوجها بأنه قد مات ابنه بأنه أمانة عنده فذهب أبو طلحة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي:"**بارك الله لكما في ليلتكما**ـ فحملت وولدت له غلاما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وعاش هذا الغلام حتى تزوج وكان له تسعه أولاد كلهم يحفظون القرآن الكريم ورحم الله من قال:"**بالصبر واليقين تنال الإمامة والدين**ـ وقال تعالى:{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾} [السجدة: ٢٤].

* * *